مكانة الحجة في فلسفة الإختلاف عند جيل دولوز

The place of the argument in the philosophy of difference for Gilles Deleuze

الباحثة فاتـن سفيـان

Faten Sofiane

المركز الجامعي نور البشير .البيض ، fatifaten6@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/05/14 تاريخ القبول: .2022/10/10 تاريخ النشر: 2023/01./01

ملخص:

ترتكز النقاشات العقلانية في مجملها على الحجة التي تهدف إلى الإقناع ، ومن شأنها تخفيف النزاعات، وخلق مساحة من التفاهم والإتفاق ، لكن فلسفة الإختلاف الدولوزية تقوم على تقويض المنطلقات الأساسية التي تعتمدها المعرفة الإنسانية ومساءلة الفلسفات القديمة التي تدعي اليقينية، والتي تعد الضامن الأساسي للإتفاق ونجاعة الحجة، لذلك بات من الضروري أن نتقصى مكانة الحجة في فلفسة الإختلاف بهدف البحث عن مدى فاعليتها في تحقيق الإقناع داخل فلسفة تؤمن بالتعدد، والتنوع، واللا إلزامية.

كلمات مفتاحية: جيل دولوز، الإختلاف. الحجة، الفهم، التفاضل

Abstract:

Rational discussions are based in their entirety on the argument aimed at persuasion, which would reduce conflicts and create a space of understanding and agreement, but the Deleuze philosophy of difference is based on undermining the basic premises adopted by human knowledge and criticizing the ancient philosophies that claim the truth, which is the main guarantor of agreement and the possibility of persuasion for that It has become necessary to trace the position of the argument in the philosophy of difference in order to examine the extent of its ability to achieve persuasion within a philosophy that believes in pluralism, diversity, and non-compulsion.

Keywords: Gilles Deleuze, the difference, argument, understanding, differentiation

المؤلف المرسل: فاتن سفيان

1. مقدمة:

الإختلاف هو التباين والتغاير ، والتفكير على نهج الإختلاف هو التفكير بعيدا عن المنطق الهوياتي، كما وتم الإتفاق على أنه سنة الكون؛ فالمجتمعات تشق طريقها بالإختلاف حيث يعد قانون من أجل الحفاظ على إيقاع الحياة وديناميتها، وهو سر إنجذاب الكائنات بعضهم لبعض في محاولة لإكتشاف كينونة المغاير، والتي تحررت من التطابق وأصبحت في منأى عن التقليد الماهوي.

لقد أصبحت هذه الفكرة المفهوم المركزي في فلسفة الإختلاف التي تبناها جيل دول حيث حاول من خلالها بناء تصور معرفي دون أن يستند إلى مفاهيم الماهية، والجوهر، والحقيقة ومعايير الصور الوثوقية للفكر؛ فهي فلسفة تسعى لتوسيع دائرة التنوع والتعدد لكن الإيمان بالإختلاف يفتح التفكير على دور الحجة والتساؤل حول فائدة اللإقناع لذلك فهل إنتهت فاعلية الحجة في إيطار فلسفة الإختلاف؟

2. مفهوم الحجة وفاعليتها:

قبل الخوض في البحث عن مقاربة للإشكالية ومحاولة فهمها وجب أن نبحث في مفهوم الحجة وأنواعها ومدى فاعليتها في الخطاب وتحقيق التواصل والوصول إلى التفاهم .

1.2مفهوم الحجة:

لنتعرف على مفهوم الحجة ونستطيع ضبطه ضبطا صحيحا آثرنا البحث فيه من الناحية اللغوية و من الناحية الإصطلاحية

. المعنى اللغوي

تأتي الدلالة اللغوية لمفردة الحجة على عدة أوجه منها ما يذكره ابن منظور في لسان العرب قائلا: "يقال عندهم حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى غلبته بالحجج و الحجة: البرهان؛ وقيل الحجة ما دفع به الخصم... الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة" (ابن منظور،1882،ص 779) فالحجة هنا هي السند الذي يستند إليه المتكلم لإثبات ما يؤمن به من أفكار ورد ما دونها وإقناع الطرف الآخر، وذلك من خلال التأثير عليه وعلى قناعاته بدليل أكبر قوة مما يقدمه ذلك الآخر الذي يعد خصما.

وكذلك يأتي معنى الحجة كما يذكر جميل صليبا: " الحجة هي الإستدلال على صدق الدعوى أو كذبها وهي مرادفة للدليل" (صليبا، 1982، ص 445) وهنا يتقاطع مع ما قال به الجرجاني في معناها فهي:"ما دل به على صحة الدعوى، وقيل إن الحجة والدليل واحد" (الجرجاني، 1985،ص

73) إذن هي البرهان أو الدليل الذي يستخدمه المرء للدفاع عن موقفه أو دفع شبهة ضده أو حتى لتوضيح فكرة وتبسيطها ليسهل فهمها وقد تكون بغرض إقناع المتلقي أو رد على المهاجم بحق كان أو غير حق.

وذكر الأزهري : " إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد لأن القصد لها وإليها ، وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك ". (ابن منظور،1882، ص ،779) فهي تحمل بين طياتاتها معنى قصدي من ناحية أنها تحمل فكرة معينة وتهدف إلى تبليغها .

وتجدر الإشارة إلى أن الحجة هنا تحمل دلالة الغلبة والتي تظهر في قوله: " غلبته بالحجج" والغلبة هي الإنتصار للرأي الصحيح الذي يستند إلى دليل عقلاني غرضه الإفادة فيتم الإتفاق على قوة وصدق الحجة المقدمة من طرف المتكلم في مقابل ما يقدمه الآخر ،ومن ثم تسقط الحجة الأضعف فور بيان فسادها.

كما تحمل دلالة المخاصمة وذلك ما يخرج من التعصب للرأي والتمسك بالحجة والدفاع العنيف عن الموقف سواء كانت الحجة المعتمدة للدفاع صحيحة المعنى والمبنى أو فاسدة، ويمكن أن تخرج إلى الشخصنة والتهكم على الشخص لضعف برهانه.

. المعنى الإصطلاحي

أما بالنسبة لما أصطلح عليه في فهم المفردة نجد أن الحجة " هي التي يلزم من التصديق بها التصديق بالشيء" (التهانوي، 1996،ص 324). فالتسليم بالحجة يستلزم منطقيا التسليم بالموقف المبرر بها، والإتفاق على صحتها يعني الإتفاق على صحة الموقف والعكس صحيح.

كما أن "الحجج والادلة ... هي طريق الوصول إلى معلومات تصديقية، ليس لدينا وسائل حسية أو أدلة مادلية للوصول إليها. وهي طريق إقناع الآخرين بها، وإلزامهم جدليا بقبولها والتسليم بها " (الميداني، 1993، ص 25) وهذا يعني أن هناك من المواضيع البعيدة عن الحس وعن الواقع ما يحتاج الى العقل للبحث فيها وفهمها فهما صحيحا فلا يجد سبيلا لذلك غير الحجج التي مصدرها العقل، والتي تحتكم لقواعد منطقية يتم من خلالها إقناع الآخرين بها ومثل ذلك مواضيع علم الكلام، ومواضيع علم الفلك، والرياضيات.

ومستخدم الحجة يسمى محاجا أي أنه في حجاج مع شخص غيره أو عدة أشخاص والحجاج " هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات إستنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة التي تستنتج منها" (علوي حافظ اسماعيل،2010،ص 57) ومنه يكون الحجاج مبني على الأقوال ويهتم بتسلسلها وطريقة توضيفها

داخل الخطاب الذي يضم المرسل وهو الشخص الذي يوجه الخطاب، والمرسل إليه هو متلقي الخطاب، وأخيرا الرسالة التي هي فحوى الخطاب، ومن شأن هذه الأخيرة أن تحمل الحجة داخلها ليتم إبلاغها للمتلقي، وقد ذكر صليبا ملخصا معنى الحجة حسب ما يصطلح عليه العرب قائلا : "الحجة هي البينة ومنها قولهم: البينة على المدعي ، ومعنى هذا القول أن عبء الإثبات يقع على المدعي لا على المنكر" "(صليبا،1982، ص 445)

بناء على ماسبق نقول الحجة هي العدة العقلية القصدية التي يعتدها المخاطب في إطار خطابي معين للدفاع عن موقف، أو تبرير موقف، أو رد آخر باطل، وتعتمد نجاعتها على مدى تماسكها وتوافقها مع مقدمات الخطاب، وكذلك مدى قوتها في التأثير على المخاطب.

2.2 مراتب الحجج وفاعليتها:

يمكننا أن نفهم مدى فاعلية الحجج وقوة تأثيرها من خلال فهم مراتبها وموطن إعتمادها، حيث يعتمد المناظرون والمستدلون على مجموعة من الحجج مقسمة على خمس مراتب منها ما قد يدل على اليقين التام كالحجج العقلية ومنها ما يفيد في غير ذلك ومن أنواع هذه الحجج نذكر :

الحجة الجدلية : وهي الحجة التي تأتي على سبيل الإلزام للمناظر الذي يعرض عليه الدليل، وهي ملزمة له كونها تنطلق من مقدمات مشهورة تصل إلى قوة اليقين، وكون المناظر يؤمن بتلك المقدمات فنتائجها هي الأخرى تلزمه، ومن أشهر مستخدميها في تاريخ الفلسفة نجد سقراط، وتلميذه أفلاطون.

الحجة الشعرية: وهي التي تركز على مشاعر المناظر فتتلاعب بها وتسعى للتأثير عليها فيؤخذ بها حتى وإن كان مدركا لزيفها وفسادها، ونجدها عند الشعراء.

الحجة المرفوضة: وهي نوع من الحجج تنطوي أحد المقدمات على عناصر غير صادقة فيتم رفضها،بحيث يقع الخطأ فيها سهوا فتسمى الغلط. وقد يكون الخطأ فيها مقصودا يهدف إلى تضليل المناظر فتسمى مغالطة، وقد إشتهر السفطائية بإستخدام هذالنوع من الحجج.

الحجة البرهانية اليقينية: وهي التي تتألف من مقدمات صادقة يقينية لتصل إلى نتائج مفق على صدقها عقليا لذلك هي تخصص المواضيع العقلية الفكرية وكان أرسطو رائدا في استخدامها (الميداني، 1993، ص 297)

الحجة الخطابية: قد تختلف الحجة الخطابية عن المفهوم العام للحجة فقد " توسع مفهوم الحجة فصار يدل لا على الإثبات فحسب بل تعداه للدلالة على مجموع قول القائل مبتدرا ومجيبا، وعلى ما اضمر في هذا القول... ويدخل الغموض على لفظ الحجة من الجهات التي يدخل منها على لفظ التواصل" (عبد الرحمان، دت، ص 5) اذن هي التي تختلف في مقصدها لا في مبناها

عن بقية الحجج الأخرى لذلك فهي حجة غير ملزمة للمناظر، فهي تعبر عن موقف معين وعن ظن قد يكون راجحا فيمكن قبولها كما يمكن رفضها ويعود ذلك للمناظر الذي تعرض عليه ومدى قناعته في ذلك.

ولا يفوتنا أن نذكر أن للحجة ثلاث وظائف؛ الوظيفة الوصلية وهي التي تصل الإستدلالات ببعضها، والوظيفة الإيصالية فتصبح ذلك الفعل الذي يتوجه به المخُاطب للمخاطَب، كما تشغل وظيفة إتصالية وهنا تصبح الحجة فعلا مشتركا بين المتكلم والمستمع حيث تربط بين توجه كل منهما (عبد الرحمان، دت، ص 6).

ومنه فإن الحجة هي جوهر الخطاب وهي المأثر الأكبر فيه؛ فتؤثر على القلب كما تسعى للإقناع العقلي وتقوم على أساس علمي ممنهج، وتحترم عقل المتلقي كما أن هدفها الوصل للحقائق وتأصيلها. وبالنسبة لفاعلية الحجج من بين أنواع الحجج المذكورة أعلاه في الإطار التداولي فهي للحجة البرهانية الإستدلالية القائمة على مخاطبة العقل بمنطقية، كما لا تقل فاعلية الحجة الجدلية عن البرهانية من حيث أنها حجة إلزامية، وتبقى الحجة الخطابية حجة لا إلزامية تعتمد على مدى قناعة المخاطب بما يعرض عليه فيأخذ به أو يتركه وهذا ما يفتح باب التعدد والإختلاف.

3. من المطلقية إلى الوعي المتعدد

تتأسس فلسفة الإختلاف على فكرة أن أصالة أي فلسفة تعتمد على قطع الصلة مع وهم البداية ذاته لذلك توجه جيل دولوز Deleuze. Gilles ـ "فيلسوف فرنسي (1925. 1995) تخرج من دار المعلمين العليا، ودرس الفلسفة في جامعة فنسين. وضع أولا سلسلة من الدراسات في تاريخ الفلسفة، وحرص على أن يزيح النقاب لدى المؤلفين الذين درسهم عما يفلت من سار المأثور العقلاني ... كتب دولوز العديد من الكتب من بينها نيتشه والفلسفة، الإختلاف والتكرار، ضد أوديب وغيرها من الكتب " (طرابيشي، 2006، ص 290)ـ إلى الحفر في كل المسلمات التي كانت سببا في ترسيخ مفاهيم الهوية والمطلقية وغيرها

1.3 مساءلة مسلمات الوثوقية

جوهر الوثوقية هو الإيمان بقطعية ويقينية المعرفة المكتسبة، ولا تأتي هذه الثقة في يقينية المعرفة إلا من خلال المسلمات التي هي عبارة عن جملة من التصورات القبلية، والتي تعد اللبنة الأولى لتحصيل المعارف، وقد تميزت بوضوحها والإتفاق حول صدقها فلا تحتاج لإثباته.

بدأ جيل دولوز في التأسيس لتوجه جديد مختلف عن التوجهات القديمة وذلك من خلال تقويض المنطلقات الأساسية التي تعتمدها المعرفة اليقينية ومساءلة الفلسفات القديمة.

لقد جمع عادل حدجامي في كتابه فلسفة جيل دولوز عن الوجود والإختلاف نقد دولوز لهذه المسلمات في أربعة أساسية واعتبر كل ما يتلوها هو لا يخرج عن نطاقها.

مسلمة الإبتداء والطبيعة المستقيمة للفكر: حيث تمثل هذه المسلمة إيمانا راسخا في عقول كل الفلاسفة والمفكرين؛ فيعتقد الفيلسوف انه يمكن أن يكون أول من يبدأ بداية صحيحة وذلك من خلال تجاوز عيوب سابقيه " على أن ذلك لا يكون عنده بإدعاء التأسيس لبداية جديدة كما يمكن أن نعتقد، بل بالإقرار بعجز الفكر عن الإبتداء أصلا، وبعجز الذات عن ضمان مبدأ أول إذ أن وهم الإبتداء ومرجعية الذات وفكرة التأسيس ماهي إلا غوايات الكوجيتو التي تتربص بالفكر في كل زاوية، لتعيد إسقاطه في شرانق الوثوقية " (حدجامي، 2012، ص88) فتبقى هذه المحاولات إدعاءات كاذبة وواهمة، وحتى أفكارهم ما هي إلا مواصلة بشكل تراكمي للأفكار القديمة. والحاضر لا يتكتمل إلا بالعودة إلى ماضيه سواءا كان تأثرا بالأفكار السابقة أو بنقدها ومعارضتا وكل أفكار الفلاسفة ليست بدايات إبداعية من عدم بل هي إمتدادات لما سبقها سواءا كان ذلك معلنا أو ضمني.

تتأكد هذه الرؤيا عبر تاريخ الفكر الفلسفي فنجد أفلاطون على سبيل المثال الذي حاول أن يكون صاحب بداية جديدة مبدعة من خلال تجاوز المعلومات الهشة التي يؤمن بها الفرد العادي ويتمسك بها عامة الناس، وكذلك أرسطو حاول أن تكون بدايته بتجاوز مسلمات أستاذه افلاطون فكل فلسفة هي تدعي أنها البداية الصحيحة والمحاولة الصحيحة والمحاولة الجادة والواعية أكثر من سابقتها لكنها في الحقيقة ما هي إلا إمتداد لأفكار سابقة.

وكما أن ديكارت قد سار على نفس النهج حيث نجده في التأمل الثاني لم يرد " أن يعرف الإنسان بالحيوان العاقل، لأن تعريف كهذا يفترض أن مفهومي عاقل وحيوان معروفان بشكل واضح بتقديم ديكارت الكوجيتو بوصفه تعريف، أراد أن تجنب كل المفترضات المسبقة الموضوعية التي تثقل الطرق العاملة بالجنس وبالإختلاف، إلا أنه من البديهي أن لا يفلت من مفترضات مسبقة من جنس آخر ذاتية أو ضمنية، أي مغلفة في شعور بدلا من أن تتغلف في مفهوم" (دولوز، 2009، ص263) محاولة ديكارت المضنية في أن يؤسس لفكر ينشد المطلق ببداية جديدة ذات قطيعة مع الأفكار السابقة جعلته يغفل عن أن البداهة في ذاتها هي ترسبات لأفكار سابقة، وهذا ما يؤكد أنه لا يمكن التنصل من الأفكار السابقة وأن التأسيس لكل بداية يرتكز على أفكار سبقتها، وأن هذه الأفكار والمفاهيم موجودة بشكل ما داخل الذات ويستخدمها الفيلسوف بشكل ضمني على أنها تشكل فكر طبيعي يمكنه من البدء دون العودة للسابق، أو

يمكننا أن نقول أن المكتسبات السابقة تبنى في الظل دون أن يواجه بها الفيلسوف عجزه عن الإنطلاق من عدم لذلك فلا وجود لبداية حقيقية في الفلسفة.

مسلمة الحس المشترك: مضمون مسلمة الإبتداء مرتبط قصرا بالمسلمة الثانية والتي هي مسلمة الحس المشترك حيث يقول عنه دولوز: " عرف الحس المشترك ذاتيا بالهوية المفترضة لأن ما كوحدة و أساس كل الملكات، وموضوعيا بهوية موضوع أيا كان ، والذي من المفروض أن تنسب إليه كل الملكات، إلا أن هذه الهوية المزدوجة تبقى ساكنه... يجب إذن أن يتجاوز الحس المشترك ذاته نحو هيئة أخرى دينامية" (دولوز، 2009، ص 426) فإذن الحس المشترك إدراك للأشياء وللعالم المحيط بنا؛ يحدث نتاج تفاعل بين الحواس والذاكرة والخيال، لكن صحة هذا الإدراك تخضع لثقافة المجتمع، وقد توجه دولوز بالنقد اللاذع للمعتقد الذي يجعل الحقيقة برج عال تتوافق مع ما يفهمه الفيلسوف والذي يخضع لقوانين المجتمع، هذا الأخير الذي يقرر وجود علاقة قبلية وقطعية بين الفكر والحقيقة هذا ما يجعل الهوية ساكنة ويجب تجاوز ذلك .

يرشح دولوز منظورا جديدا يميز به الفيلسوف الحق عن من يدعي التفلسف ليكون الفيلسوف الحق هو الذي بإمكانه أن يقطع مع أي دوكسا، ولعل أفلاطون كان أول من رفض الخضوع للحس المشترك وأدرك ضرورة تجاهل العلاقة المفروضة بين الفكر والحقيقة من خلال تفلسفه في عملية الإدراك والذي أفرز حقيقة الصراع بين ملكات الحس والخيال والذاكرة لذلك كان الإدراك لحقيقة معينة هو نتاج إصطدام وصراع لا نتاج إتكال على ما مفاهيم قبلية فأفلاطون " الذي بدأ في لحظة الجمهورية حليفا عندما حدد طبيعة عمل الفكر كمفارقة تحول لخصم عندما يتحول للحديث عن الغايات، لهذا فهو أول من يضع أسس الصورة الوثوقية للفكر التي ستكتمل عند ديكارت" (حدجامي، 2012، ص50) ذلك أن الغايات هنا هي بلوغ الحقيقة المتفق حولها سابقا وهذا ما يعيدنا لدائرة الوثوقية مجددا هذا ما يفسر قوله تحول من حليف إلى خصم.

ينم نقد دولوز لهذه المسلمة عن فكرة الحقيقة المتفق عليها سابقا هي الغاية النهائية فإن كان الفكر يدعي أنه ينطلق متحررا فإنه في الحقيقة لا ينتهي إلا مقيدا؛ حيث أن إنسجام الملكات كوحدة ذاتية هو تبني مسبق للحقيقة وإحاطتها بسياج لا يمكن أن يحيد عنه أي فيلسوف مهما بلغ إجتهاده لذلك فإن إنطباق الفكر مع ذاته كمعيار للحقيقة جعل كل محاولة لإبداع إختلاف هي شذوذ غير مقبول، و أي محاولة للتحليق بعيدا هي في النهاية محاولة فاشلة طالما أن الحقيقة رهينة لمعتقدات متفق عليها لا تخلق أي جديد مختلف، لهذا وجب تحطيم جازمية العلاقة بين الفكر والحقيقة وضرورة التوافق القبلي بينهما.

مسلمة التعرف: ينتقد دولوز من خلال هذه المسلمة الفكرة القائلة أن المعرفة هي إعادة إدراك وربط لما هو متناسب ومتوافق قبليا مع العقل فإن كان نقده في مسلمة الحس المشترك للوحدة الذاتية التي تفرض حقيقة سطرت سابقا، فإن نقده هنا للمنطلقات التي أصبحت هي الأخرى لا توصل لأي إبداع بكر، وفرضت تطابق الفكر مع الواقع كمعيار أخر يحد من الإبداع ومن هنا أصبحت كل الموضوعات التي يتعرض لها الفكر هي متوافقة مع ذاتها بالدرجة الأولى وهي في إستعداد دائما للتوافق مع الفكر لتشكل وحدة موضوعية ولعل كانط كان أبرز من استطاع أن يجعل من الذات مصدرا للمفاهيم، وذلك من خلال إكتشافه للأنا المتعالية من ثم تكون هذه الذات الترندستالية مصنعا للمفاهيم ولا وجود لمفاهيم متعالية على الذات ، لكنه ما لبث عاد لربط المفاهيم بالذات ووقع كانط حسب دولوز في فخ الإتفاق حول الفهم الذي يعـد مركز ثقل المعرفة (دانيال سميث، 2019، ص15).

مسلمة التمثل: كل ما تم ذكره في نقد دولوز للمسلمات ماهو إلا مقدمة للفكرة الاساسية التي يسعى الرجل لتفنيدها ألا وهي فكرة التمثل " والتمثل يعني أمرين إثنين الحتمية، أي تصور المعرفة كوحدة متناهية ومنغلقة لا إمكان للإستثناء أو الصدفة أو الحظ فيها؛ ثم التطابق، أي تصور الهوية كأصل في الإختلاف، وكغاية له، والحقيقة أن العنصرين مترابطان، فكل منهما يشترط ويشترط الآخر، والعلة في ذلك أوضح من أن تقال، إذ كلامهما نتيجة مباشرة لمنطق الكوجيتو ولفلسفة الوضوح والتميز التي إبتدع سنتها ديكارت" (حدجامي، 2019، ص102)

فدولوز يرى أن التمثل قائم على عناصر أربعة هدفها القضاء على أي إختلاف وهذا ما يظهر في قوله" التمثل الرباعي: الهوية في المفهوم والتعارض في المحمول والتماثل في الحكم والتشابه في الإدراك... ربما يقوم الجهد الأكبر للفلاسفة على جعل التمثل لا متناهيا (متهتكا)، يتعلق الأمر هنا: بمد التمثل حتى الكبير جدا والصغير جدا من الإختلاف" (دولوز،2009، ص ص 485،486) فالتمثل يبدأ بفكرة الأنا المفكرة التي يرمي بها ديكارت للساحة والتي جعلت من الإختلاف خاضعا للهوية ولا سبيل لتحقيق النقيض فتنغلق الأنا على ذاتها فتتصور المعرفة منغلقة هي الاخرى تحكمها الحتمية، فلا وجود لإختلافات إلا وسعى التمثل الكلاسيكي للقضاء عليها كبيرة كانت أو صغيرة .

"والحقيقة أن ما يسعى دولوز لتحقيقه من فعل التنقيب هذا عن عناصر الصورة الوثوقية للفكر و مستويات حضورها في الأنساق الفلسفية هو غايتان اثنتان متلازمتان، أولهما أن يواصل المشروع الجينيالجي الذي كان في تصوره أقوى محاولة لإخراج ومساءلة المسلمات الميتافيزيقية للفلسفة وهذا هو الجانب النقدي... وثاني هذه الغايات هو إرساء إمكان جديد في التفكير يقطع

الصلة مع الموانع الأخلاقية والتاريخية التي حكمت الفلسفات السابقة" (حدجامي عادل، 2012، ص ص87،88) فإعتمد جيل دولوز التنقيب والبحث في الأصول وهدمها كغاية في ذاتها لإخراج العقل من وهم المطلقية والحقائق اليقينية.

كما سعى لتأسيس فلسفة جديدة لا تتقاطع مع باقي الفلسفات التي تؤمن بالمسلمات والتي يعتبرها العائق الأول أمام الإبداع فهي بمثابة القيود التي تبقى العقل سجينا داخل نمط من التفكير يحد من قدرته على التميز وخلق الجديد لذلك يعد واضع الخطوات الأولى لفكر لا دوغمائي متحرر من وهم المطلقية، ودلك لأن دولوز كان يرى في محاولة نيتشه الفلسفية ومنهجه الجينيالوجي جرأة يجب أن يتبعها فتخذه ملهما له وحاول السير على خطاه.

2.3 الإختلاف كبديل

في مقابل نقد جيل دولوز للمسلمات التي تحكم العقل والتي إعتبرها عرقلة للفكر وتقيد له ـ لأن التسليم بشيء معين يعني أن نتوقف عن إستخدام العقل أمامه توقفا نهائيا هذا ما دعت له الفلسفات السابقة الشمولية المنغلقة ـ قدم الإختلاف كتوجه فلسفي يطيح بوهم إمتلاك الحقائق الذي ساد الإعتقاد لقرون من الزمن أنها مهمة أساسية للفيلسوف وأنها جوهر التفلسف.

يبدأ فهم فلسفة الإختلاف عند دولوز من فهم الإختلاف ذاته بحيث " يعني الإبتعاد عن الهوية المفترضة، والتكرار يعني إعادة إنتاج نسخة أو نموذج" (دولوز، 2009، ص30) فلا يعترف دولوز بالتماثل الهوياتي، حيث آثر التمرد على المعتقد الفلسفي الماورائي الستاتيكي، والذي كان يعبر عن أيديولوجيا مغلقة يتبناها الفكر ثم يفرضها على ذاته لاحقا كقوانين تلزمه، لهذا نجد دولوز يسير على خطى نيتشه الذي إعتمد المنهج الجينيالوجي والذي تمكن من خلاله هدم التصور القديم ـ كما تم الذكر سالفا. ويُظهر ذلك التناقض الصارخ بين إرادة الإبداع وبين الإمتثال للمسلمات، فهو لا يقدم الإختلاف بذلك المعنى السلبي وإنما يرى فيه تميز وتفرد فيُحمل بهذا المعنى على نحو إيجابي.

كما أنه لا يقدم التكرار على أنه تقليد هوياتي مميت للإبداع، وإنما تكرار للتنوع وللإختلاف ففي كل لحظة يمكن أن يكون هناك موقف ومعرفة وتجربة مختلفة تساعد في بناء ثقافة مختلفة، وأراد دولوز من هذا كله تبرير فكرة التعدد والتمايز الذي يساعد في بناء هويات مختلفة غير مطابقة لغيرها. وهو بهذا التوجه أراد أن يفتح التفكير والحياة ككل على إمكانات جديدة غير مسبوقة،" فممكنات الحياة أو أنماط الوجود لا يمكن إبتكارها سوى على صعيد المحايثة، ولعل ما يميز فلسفة دولوز هو إنسكانها بقوى الحياة لأن الفكر ليس ببساطة شأنا نظريا بل مشكلا متعلقا

بالحياة إنه الحياة بالذات" (الحسناوي، 2001، ص59) فبعيدا عن الإفتراضات المزعومة يعد الفكر فعل للخارج مرهون بالحدث الراهن وصراع التأويلات وذلك من خلال الإحتكاك بالواقع وعيش التجربة بشكل واقعي فهذا ما يجعل المرء يفهم ذاته ومحيطه وما عاشه فلا يكفي أبدا أن يستعين بخبرات الآخرين السابقة التي هي نتاج تجربتهم الخاصة وفي هذا يقول دولوز: " ليس الإختلاف المتنوع، والمتنوع يعطى. إلا أن الإختلاف هو مابه المعطى يعطى، وهو ما به المعطى يعطى كمتنوع، فليس الإختلاف الظاهرة ، ولكنه النومين، الأقرب للظاهرة" (دولوز، 2009، ص 419) فالإختلاف ليس خبرات تعطى وإنما هو ما يصنع هذه الخبرات المتنوعة، فمن هنا يبدأ الإختلاف في إكتساب خبرات مختلفة تنتهي بمفاهيم حياتية خاصة مختلفة هي الأخرى عن مفاهيم الغير .

خروج دولوز الناقد إلى الساحة ما كان إلا لتفنيد فكرة التمثل التي بدأت مع الفلسفة الحديثة بزعامة رونيه ديكارت والذي يعد من أوائل الفلاسفة الذين وثقوا في قدرة العقل ومهدوا للوثوقية وصدقوا بوهم الحقيقة المتعالية .على غرار أصحاب المذهب الميثالي وجعلوا الفلسفة تسعى فقط للوصول إلى هذا المتعالي. وقد سار العديد من الفلاسفة على هذا المسار من بعده ، لكن دولوز رفض وبشكل مطلق هذا التوجه الذي ما رأى فيه إلا تقييدا للعقل وحد من حركية الحياة وقدرة الفكر على الإبداع كون هذه المنطلقات التي إعتمدها الفلاسفة هي لا شك جعلتهم ينتهون إلى ضرورة الإتفاق اللامبرر إلا بحجج واهية سطروها هم للوصول إلى التفاهم .

ونستشف من هذا أن الحقيقة المطلقة هي مطلب إنساني يلزم تحقيقه وإستنادا إلى هذا فُتح الباب على مصرعيه أمام فكرة الإتفاق ومن ثم بررت مشروعية الحجة؛ حيث أنه ما دام هناك إتفاق حول حقيقة مطلقة يقينية فهذا يعني أنه لا مجال للصراع، وإن وجد الصراع فهو يحل من خلال الحجاج العقلي، فترض الحجة نفسها كوسيلة ذات فعالية كبيرة لإزالة الصراع وتحقيق الإتفاق وما على المحاجج إلا أن يختار الحجة الأكثر منطقية ذات المبنى الصحيح والتي تلزم محاوره و تجعله يصل للحقيقة المطلقة والمتفق حول مطلقيتها سابقا، فالحقيقة هنا لا يمكن أن يُختلف عليها.

لكن أثار دولوز الجدل من خلال إنزاله سقف الحقيقة العالي من برجه المجرد إلى سطح المحايثة والواقع فقام بهدم ذلك التصور الوثوقي لها من خلال طرحه لفلسفة الإختلاف التي تقوم أساسا على رفض الإتفاق والإمتثال لأفكار الغير ولتجاربهم، فخلخل مكانة الحجة من خلال تقديمه لطرح جديد ضيق به الخناق عليها.

4. تكوثر المفاهيم في مقابل الحجة الجامدة

تقوم فلسفة الإختلاف على الكثرة في الشخصيات والتوجهات وفي الآراء مع تقبل كل هذا التنوع الذي يضيق الخناق على الحجة لذلك وجب فهم كيف يبنى المفهوم الذي هو أساس كل تكوثر

1.4 بناء المفهوم

تركز فلسفة الإختلاف على المفاهيم والتصورات التي لا تقع في النفوس بذات المعنى وذلك لأن المفاهيم ليست ذاتها حيث يمكن لكل شخص أن يبني مفهومه الخاص إنطلاقا من تجربته الخاصة " فيكون المفهوم بهذا المعنى بالضبط فعلا للفكر، وذلك لكون الفكر يعمل بسرعة لا متناهية. سواء كانت شديدة، أو ضعيفة" (دولوز، غتاري، 1997، ص44) هكذا يحدد دولوز تصوره للمفهوم من خلال أنه نتيجة إلتقاء الفكر مع الحادثة على سطح معين وبشيء من الدهشة والغرابة التي تساهم في بنا تصور خاص عن الحادثة ذاتها فيصبح المفهوم هو التعبير عن الحادثة.

وما يميز المفهوم عند دولوز أنه لا متناهي كونه مرتبط بالحادثة والمسطح " فالمفاهيم والمسطح متضايفة بشكل دقيق، دون أن يعني ذلك أنها أقل تطابقا فيما بينها، ومسطح المحايثة ليس مفهوما ولا مفهوم جميع المفاهيم. ولو وحدنا فيما بينها، فلا شيء يمنع المفاهيم من أن تصبح واحدا، أو أن تصبح كليات عامة وتفقد خصوصياتها ، ولكن كذلك قد يفقد المسطح إنفتاحه ... فالفلسفة نزعة بنائية والنزعة البنائية لها وجهان متكاملان يختلفان بطبيعتهما من حيث إبداع المفاهيم ورسم المسطح، إن المفاهيم أشبه بالموجات المتعددة التي تعلو وتهبط، ولكن مسطح المحايثة هو الموجة الوحيدة التي تلفها وتنشرها" (دولوز ، غياري، 1997، ص 55) فهو يبدع في تجدد مستمر لأن الحادثة في تكرار دائم، وقد إستقى الفكرة عن نيتشه الذي يطرح فكرة العود الأبدي والتي تعني أن التاريخ يعيد نفسه بشكل دائم، ويضيف دولوز بأن الحادثة تعود فعلا لكن بحيثيات مختلفة، وإختلاف هذه الحيثيات ما يجعل المفهوم في تجدد وبالتالي هو في صيرورة دائمة، كما أن دولوز يتبنى شخصنة المفهوم بحيث تجعل منه نسبي والظروف التكوينية للتجربة هي التي تحدد إختلاف المفهوم من شخص لآخر .

وفضلا عن ذلك "لا تكون المفاهيم في إنتظارنا وهي جاهزة كما لو كانت أجساما سماوية. ليس هناك سماء للمفاهيم بل ينبغي إبتكارها وصنعها، أو بالأحرى إبداعها " (دولوز، 2009، ص15) فلا وجود لمفاهيم متعالية حسب ما ذهب إليه دولوز، وكل من إدعى ذلك إعتبره مخطئ بل ينبغي مواجهة الواقع لصنع وإبتكار مفاهيمنا الخاصة عن الحادثة المعاشة، وهذا راجع لنقده للتمثل وفلسفة الذات التي إعتبرها فلسفة منغلقة لا يمكنها أن تقدم الجديد حيث رفض ما تبناه هيغل عن تشكل المفهوم المجرد والذي يعد بعيدا كل البعد عن الواقع المعاش فهو يمنع تحقق تجربة متفردة تبدع إدراكا مغايرا لذلك دعت "الضرورة للإنطلاق في الفلسفة من أوضاع عينية

بسيطة جدا وليس من مقدمات فلسفية، ولا حتى مـن مشكلات بما هي مشكلات الواحد والمتكثر "(دولوز ، 2009، ص28.) يبدأ الإنسان في بناء مفاهيمه كالطفل دون اي تأثير خارجي مواجها الحدث الواقعي حتى يشكل خبرته الخاصة ، كما أن إرتباط هذه المفاهيم بالعيني حتمي ولا سبيل لتحقيقها إلا بالعودة إليه.

بهذا القول لخص دولوز تصوره لفلسفة الإختلاف، ومن هنا بدأ الرجل في تأسيسه لجهاز مفاهيمي يقتضي التعدد، والتنوع وإذا حاولنا أن نفهم كيفية تحقيق الإبداع المفاهيمي وجب أن نعود إلى اللحظة الأولى التي يكون فيها الإنسان أمام الحدث وجها لوجه ففعل التفكير عند دولوز ليس إلا عنفا وإصطداما يرفض أي ضمان قبلي على مصداقيته كما أنه لا يمكن أن يكون نتاج أي إتفاق سابق فهو بدأ مكرها ومرغما في صراع مع ما يفرضه الحس المشترك (دولوز، 2009، ص 275)

إن الإمتثال لحقيقة مسربة من قبل هو إستكانة للتقليد وخضوع للسائد؛ فالإنسان الذي يستعين بخبرات غيره حتى يكتشف الواقع هو إنسان مقلد لا مبدع أما الإنسان الذي يكون في صراع مع الواقع العيني والحدث الراهن هو شخص يمكنه أن يتحرر من قبضة التقليد نحو إبداع مفاهيم تمثل تجربته الشخصية.

2.4 الإقناع في ضل التكوثر

بما أن المفاهيم والتصورات تمثل التجربة المعاشة بات من المستحيل أن تكون المعاني متفق حولها لذلك فهي لا تتسم بالمطلقية، فدخلت حيز النسبي الذي طالما تغنت به السفسطائية في بدايات التفلسف فالخير لم يعد بالضرورة ما يفهمه الجميع خير ، وإنما ما تفرضه تجربتي التي عايشتها على أنه خير ، والشر على ذات النحو، فأصبح لكل شخص مفهومه وتصوره الخاص ويدعو دولوز " إلى أن نتعرف إلى بنى الفكر بما هو فكر في الحماقة والقسوة العنيفة والخيبة " (دولوز، 2009، ص 26.) فهذه المفاهيم نتيجة لتفكير على نحو متحرر من المسلمات ومن الحقيقة المتفق عليها لا تصبح بذلك التصور المرفوض فلكل تجربة عينية حقيقتها وحكمها.

لا يتحقق التفاهم إلا بوجود خطاب مقنع وما دام كذلك فتفرض الضرورة وجود الحجة للوصول إلى الإقناع، والحجة هي محاولة إخضاع العنف إلى العقل وفك الإشتباك فهي تذكرة لمرور من ضيق المتخاصم فيه إلى إتساع رحاب المتفق حوله، وذلك لا يتم إلا من خلال الفهم "فهم الآخر لخطابنا، وهو طريقنا لتأسيس الخطاب الكوني الذي ينصهر فيه الآخر فينا بمحض إرادته، وكلما كان الخطاب الفلسفي مقبولا ومقنعا اعتنقته أكثر الناس وآمنوا به" (زروخي، 2019،

ص 251) فالفهم لا يتحقق إلا من خلال التسليم بالحقيقة المتعالية المتفق حولها في حين تبنى فلسفة الإختلاف كلها عند دولوز على رفض المطلق المتعالي.

من ثم تسقط الحجة المقنعة وتنتهي محاولة الإتفاق فإن كانت المفاهيم التي يتم التعامل بها ليست ذاتها عند كل البشر بل هناك إختلافات وهناك تباينات واضحة في الفهم فهذا يقودنا بالضرورة إلى القول بأن محاولة الوصول إلى تفاهم هي محاولة فاشلة.

إن هذه المحاولة قد تؤدي بالضرورة لإقصاء أحد الشخصيتين من خلال طمس إيمانه بفكرته ويقينه بمفاهيمه وإجباره على قبول مالم يعايشه لذلك فلم تعد ثنائية الحقيقة والخطأ التي يطرحها المنطق والتي تتعلق بصدق الأقوال وتماسكها المنطقي الداخلي مجدية، ولم يعد ما كان متماسكا وسليما من الناحية الصورية وتركيبه الدلالي اللغوي هو الحقيقة (حدجامي، 2012، ص 109) ويتضح أن دولوز قد اعتبر هذا المنطق الذي ينحصر في قيميتين هو منطق ساذج قائم على تعنيف أحد الأطراف للطرف الآخر بدعوى إمتلاكه الحقيقة على الرغم من أن هذه الحقيقة لا تمثل إلا مفهومه هو، في حين أن هناك حقيقة أخرى تم إقصاؤها فلم تصبح الحقيقة هي المتعالي المجرد المتفق حوله وإنما " المتعالي الحقيقي في الفكر هو المعنى من حيث هو قوة أنطلوجية مولدة وليست مجرد مضمون معياري" دولوز،1993، ص 4) والتسليم بغير ذلك هو تسليم بتطابق المفهوم والماصدق سيحول بالضرورة و إبداع المفاهيم، لذلك تسقط إلزامية الحجة على المخاطَب وتصبح كل محاولة لفرض الإتفاق هي تعنيف مرفوض.

من هنا لم يصبح عمل الفيلسوف هو طلب الحكمة وتقصي حقيقتها بل أصبح "الفيلسوف بوصفه فيلسوف ليس حكيما، وأن الفيلسوف بوصفه فيلسوف يكف عن الطاعة ويستبدل الحكمة القديمة بالقيادة، ويحطم القيم القديمة ويخلق القيم الجديدة وأن كل عمل هو تشريعي بهذا المعنى، والمعرفة إبداع، بالنسبة إليه" (دولوز ،1993،ص 118.) والقيادي من إستطاع أن يبدع مفاهيمه لا هي أبدية ولا هي أزلية إنما تبقى هذه المفاهيم رهينة التجربة العينية ،وبالتالي تختلف هذه المفاهيم من شخص لآخر ، ومن زمن لآخر حسب تجربة كل شخص.

كون هذه المفاهيم مشخصنة، مختلفة، لا متعالية فذلك يعني أنه لا يمكن إلزام أحد بما يعتقده غيره بإستخدام حجج برهانية أو جدلية لأن هذه الحجج تنطلق من مقدمات صادقة لا شك فيها لتنتهي إلى نتائج تلزم صاحبها الذي سلم سابقا بصدق المقدمات، ولكن صدق هذه المقدمات لم يعد يلزم المخاطب في فلسفة الإختلاف لأنه لا يصدق بالتطابق ولا بالمطلق ولا يؤمن بالتمثل فتسقط الحجة عنه "وعلى هذا النحو فإن أخلاق الإختلاف هي الأخلاق التي يؤمن بها الأقوياء الذين لديهم ثقة بالنفس وإلتزام بالمبادئ، فلا يهمهم المغاير عكس الإنسان الضعيف

الذي يحاول أن يبيد المخالف خوفا من أن يزيل هذا المخالف هويته ويقضي على وجوده، كما أن الهوية ترتبط بمفهوم الغير أو الآخر، ولا معنى للأخر في وجود التشابه" (زروخي، 2020، ص66).

لكن هذا لا يمنع أن الحجج الخطابية لها نصيب في فلسفة الإختلاف من خلال محاولة شرح الأفكار وتوضيحها كما أن هذه الحجج لا تقوم على فكرة الإلزام بقدر ما يعرض المخاطب الأفكار تاركا حرية الأخذ به من عدمه للمخاطَب، وهذا ما كان واضحا في أسلوب دولوز ذاته من خلال نقده للمسلمات وطرحه لفلسفة الإختلاف التي يتبناها كل ذلك كان بإستخدامه للحجة الخطابية.

3.4 التفاضل كإستراتيجية يفرضها الإختلاف

في محاولة منه لحل النزاعات يقدم دولوز التفاضل كحل وفي هذا يقول " أما الإعتراضات فإنها أفضع كلما تم الإعتراض أود أن أقول "متفق متفق لنمر إلى شيء آخر" لم تعط الإعتراضات أبدا ثمارها " (دولوز، بارني ، 1996، ص 09) حيث يؤكد أنه لا جدوى من دخول من التعبير عن الإعتراضات إذا كنا في النهاية لم ولن نتفق فطبيعة الفكر مبينة على الإختلاف والإختلافات سنة حياتية يجب فقط أن نتعايش معها فليس "المهم في الأسلوب هو الكلمات ولا الجمل ولا الإيقاع ولا الأشكال، كما أن المهم في الحياة ليس هو الحكايات ولا المبادئ أو النتائج فبإمكاننا دائما تعويض كلمة بأخرى، إن لم ترضكم هذه لم تقلقكم فخذوا كلمة أخرى، ضعو مكانها كلمة أخرى، إذا بذل كل فرد هذا المجهود فإن الكل سيتفاهم، ولن يكون هناك بتاتا داع لطرح أسئلة أو القيام بإعتراضات" ((دولوز، بارني ، 1996، ص11) ومن منطلق أننا نختلف في تحديد المعاني وأن هناك تكوثر معاني فهذا لن يسمح لنا بخلق مساحة وسطى للتفاهم.

التفكير على مستوى الإختلاف يجعل الحجة غير مجدية فالإنسان ليس مطالبا بالتبرير مادام لا يتفق مع الآخرين في فهمهم للحدث ولا حتى في فهمهم للكلمات، وتشكيل قاموس المعاني لا يكون إلا على مستوى تفكير الفرد لذلك يؤكد الرجل على قيمة التفاضل كحل حيث يقول : " لا تترك القيم نفسها إذا تجرد من وجهة النظر التي تستمد منها قيمتها. مثلما لا يترك المعنى نفسه يجرد من وجهة النظر التي يستمد منها دلالته ... أي سفالة يمكنها أن تجد التعبير عنها في قيمة، وأي نبالة يمكنها أن تجد التعبير عنها في قيمة أخرى ، هذا ما لا يمكن أن يكتشفه غير عالم النِّسابة، لأنه يعرف كيف يستخدم العنصر التفاضلي : إنه سيد نقد القيم "(دولوز، 1993، ص ص 72،73)

ففي ضل التضييق الذي يفرض في النقاش وغياب فاعلية الحجة وعدم جدواها يخرج دولوز إلى دائرة التفاضل الذي وإن كان في علوم الرياضيات يوضح أنه بين نقطة ونقطة هناك عدد

لا متناهي من النقاط ويستخدم في حساب العلاقات المتغيرة والغير ثابتة بين أكثر من متغير فإنه يوضح في النقاش أنه بين رأي ورأي هناك عدد لا متناهي من الآراء، وبين معنى ومعنى آخر هناك عدد لا متناهي من المعاني، ويجب تقبل إختلاف هذه الآراء الفردية وعلى سبيل التفاضل يؤخذ بالرأي الأفضل وإن كان التفاضل يؤدي إلى التكامل فهو كذلك يفتح باب التعايش في ضل الإختلاف حيث يخرج دولوز من ثنائية الصدق والكذب التي يركز عليها المنطق الصوري إلى الأخذ بتعدد القيم وعدم إقصاء أي طرف لأن كل طرف على حق مادامت تجربته التي اخذ منها خبرته تقرر ذلك، كما يرى دولوز بأن الإعتراض لا يقدم جديد ولإسكات الفضول يمكن للإنسان ملأ الفراغات التي تستحوذ داخله من خلال وضع الكلمات التي تناسبه وبالأجوبة التي تلائم تفكيره، ومن هنا فلن يكون هناك داع لطرح الأسئلة أو دخول نقاشات لأن إبداع يعني إبداع كينونات كل منها متفردة عن البقية وهذا يعني بالضرورة عدم التماهي مع البقية كما لا يفرض الإتفاق معهم .

4.4 مقاربة نقدية

لقد أعتبر طرح دولوز في الإيطار الزمني الذي ظهر فيه والذي تحكمه تجاذبات فكرية ومنهجية في الفلسفة المعاصرة، وعلى الرغم من صعوبة فهم أفكاره إلا أنه يبقى طرحا متميزا يحمل في جديته وفي أصالته الكثير ،وهذا ما بدى واضحا من خلال العناصر التي تطرقنا إليها سابقا ضمن هذه الورقة البحثية.

وبالرغم من ذلك إلا أنه توجد بعض المآخذ التي لا بد من عرضها و أهمها أن جيل دولوز كما سبق الذكر قد إنتهى إلى فكرة التفاضل كفك خناق بين المتناقشين، وكحل يتجنب به الصدامات والصراعات التي يمكنها أن ترقى إلى مصاف العنف الغير مقبول إطلاقا، " لكنه يبدو واضحا أن تعامل دولوز مع الأشكال المبكرة للتفاضل ليست دراسة لتاريخ الرياضيات، أو محاولة في فلسفة الرياضيات ولكنها بالأحرى بحث عن مفهوم فلسفي محتمل للإختلاف عن طريق استخلاص أفكار معينة والمعروف بوضوح أنها أدوات رياضياتية تاريخية " (دانيال سميث، دت، ص 39) ذلك لأن في حساب التفاضل والتكامل توجد قيم متناهية في الصغر تؤول للصفر وهذه القيم مرفوضة فإذا كان الأمر كذلك فهذا يعني بالضرورة إمكانية رفض أي قيم وجودية أو معرفية " ولكن دولوز يرى في " المعادلات التفاضلية هي مجرد إضافات، تعبر عن شروط المشكلة التي تجيب عنها معادلة يجري البحث عنها، إلا أنه ينتج بينهما تعويض دقيق عن الأخطاء، يسمح ببقاء التفاضليات في النتيجة، لأنه لا يمكن لهذه النتيجة أن تقوم إلا بين كميات ثابته أو متناهية" (دولوز، 2009، ص 344) بهذا يكون دولوز قد رفض أن تنتهي القيم الوجودية والمعرفية بنهاية القيم الحسابية ويقرر بأنها وإن إنتفت فهي بإنتفائها كذلك تساعد في بناء التفاضليات.

5. خاتمة

نستنتج من خلال ما سبق أن الحجة هي الوسيلة التي يعتمدها الإنسان لإقناع المختلف عنه بفكرة يؤمن بها وتتأسس على مقدمات قد تم التسليم سابقا بصدقها لذلك كانت نتائج الحجج ملزمة للمغاير في الحجة البرهانية والجدلية أما الحجة الخطابية فهي التي تهتم بالشرح والتوضيح.

أما فلسفة الإختلاف الدولوزية فهي في جوهرها تسعى نحو الإبداع فهدفها إبداع كينونة جديدة متميزة ومتفردة، كما أنها لا تحمل المعنى السلبي وإنما هي فلسفة تهدف لتحرير الإنسان وعقله من معتقدات قديمة من شأنها أن تضعه داخل قالب وثوقي يحد من إبداعه وتفرده وتركز على توليد المفاهيم والمعاني من خلال استحداثها بتجربة تجعل الإنسان يعايشها ويفهمها ويولد مفاهيمه ومعانيه الخاصة والمختلفة من تجربته تلك، فهي ترفض كل ما كان وثوقي ولا تؤمن بالحقيقة المطلقة

وبالرغم من أن دولوز حاول إسقاط فاعلية الحجة داخل دائرة الإختلاف وإعتبرها إقصاء لأحد الأطراف إلا أن طبيعة الحوار فرضت مكانة للحجة الخطابية اللاملزمة والتي تترك الحرية لقناعة المخاطب في الأخذ بها أو تركها.

الاختلاف إن كان في شقه الإيجابي ينم عن التعدد والثراء والتنوع إلا أنه في غياب الحجة والإقناع يؤدي إلى الصدام والتصارع وخلق جو من العنف في ضل غياب منطقة وسطى للتفاهم لذلك فالحجة الخطابية هي حجة غير كافية لإقناع الآخر، وهكذا تكون فلسفة الإختلاف بتخليها عن الحجة قد تركت فجوة للنزاع حول الحقيقة التي يجب توسمها، لأن محاولة الإتفاق حول حقيقة واحدة هي طمأنينة للعقل أولا وللمناقش ثانيا.

6. قائمة المراجع:

- التهاوني، محمد علي، (1996) ، كشف إصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان، بيروت . لبنان.
- الميداني، عبد الرحمان، (1993) ،ضوابط المعرفة وأصول الإستدلال والمناظرة، دار القلم، سوريا.
- علوي حافظ، إسماعيل، (2010) ،عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن
- عبد الرحمان، طه، (دت)، التواصل والحجاج ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
- زروخي، الدراجي،(2020)، أخلاق المسؤولية وعار الصهيونة قراءة في أخلاق الأخلاق عند ليفيناس، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والإجتماعية جامعة محمد بوضياف، المسيلة.

- طرابيشي، جورج، (2006) ، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، لبنان.
- حدجامي، عادل، (2012) ، فلسفة جيل دولوز عن الوجود والإختلاف، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب.
- الجرجاني، (1985)، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت ، لبنان.
- صليبا، جميل، (1982) ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني، بيروت .لبنان.
- ابن منظور, محمد بن مكرم المصري، (1882)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.
- زروخي، الدراجي، (2019)، فنيات الخطاب الفلسفي، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والإجتماعية جامعة محمد بوضياف ، المسيلة.
- دولوزجيل، كلير بارني، (1996)، حوارات في الفلسفة والأدب والتحليل النفسي والسياسة، إفريقيا الشرق، المغرب.
- دولوز جيل، فيلكس غتاري، (1997)، ماهي الفلسفة، مركز الإنتماء القومي، بيروت لبنان.
- دولوز، جيل، (2009)، الإختلاف والتكرار، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان.
- دولوز، جيل، (1993)، نيتشه والفلسفة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ،لبنان.
- الحسناوي، مصطفى، (2001)، دولوز حياة فلسفية، مجلة أبواب دار الساقي ، بيروت العدد 29.
- دانيال، سميث، https://hekmah.org/%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%88%D8%B2/ ، (2022/4/2).